اســـم الكتـــاب :

يُدبِّرُ الأمرَ

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

يتناول هذا الموضوع تأملات في صفة «**تدبير الله**»، وكيفية تجليها في حياتنا اليومية، بدءًا من تدبير الله للكون وصولًا إلى تدبيره لأقدارنا الشخصية. يُظهر كيف أن الله سبحانه وتعالى يُدبر الأمور بحكمة ورحمة؛ مما يدعونا إلى الرضا والتوكل عليه.

فمعرفة هذه الصفة تحث المسلم على التأمل في تدبير الله لأموره، والاطمئنان إلى أن الله لا يقدر لنا إلا الخير؛ مما يعزز الإيمان والرضا والتوكل على الله في جميع شؤون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم

عناصر الموضوع

١. الله المدبِّر: الفاعل الحقيقي لشؤون الكون والعباد.
٢. «يدبر الأمر» تكررت في كتاب الله ٤ مرات.
٣. تدبير السماوات.
٤. تدبير رفع السماء بغير عمد.
٥. تدبير الْأَرْض.
٦. تدبير الشمس والقمر.
٧. تدبير تعاقب الفصول.
٨. تدبير الليل والنهار.
٩. تدبير الخلق فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.
١٠. تدبير واقع الحياة.
١١. نماذج من التدبير الرباني العظيم لأنبيائه وأوليائه.
١٢. رسائل الإيمان من تدبير الرحمن.
١٣. الله وحده المدبِّر لكل شيء.
١٤. تفكر العقول وذكر القلوب بعظمة المدبر.
١٥. وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ.
١٦. إنه يدبِّر الأمر فارفع قلبك إليه.
١٧. غيبٌ يُبقي العقول في حدود العبودية.
18. { يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }.
١٩. الله عودك على الجميل فَقِسْ على ما قد مضى.
٢٠. لو كُشف لك الغيب لاخترت تدبير الله.
٢١. ثمرات الإيمان بأن الله هو المدبر .
٢٢. تأملات في قوله تعالى: { يُدَبِّرُ الأَمْرَ }.

١

اللـه المـدبِّر

الفاعل الحقيقي لشؤون الكون والعباد

مـن صفـات اللـه -عـز وجـل-، أنـه هـو الـذي يدبـر؛ فهـو -سـبحانه- المدبـر للكـون. فتسـيير السـحاب بتدبـيره، وتصريـف الريـاح بتدبـيره، وتعاقـب الليـل والنهـار والشـمس والقمـر بتدبـيره.

يدبِّـر أمـور الكـون عـلى مـا يريـد، فـما كان فيـه، ومـا يجـري فيـه مـن صغـير أو كبـير؛ فبإرادتـه -سـبحانه- وتدبـيره، وهـي بعِلْـم منـه وحكمـة، لا يشـاركه في ذلـك غـيره، مـا شـاء كان، ومـا لم يشـأ لم يكـن -سـبحانه وتعـالى-.

فاللـه يدبِّـر أحـوال العبـاد؛ يُسْـعِد ويُشْـقِي، ويمنـع ويعطـي، ويُفْقِـر ويُغْنِـي، ويُمْـرِض ويُصِـحُّ، ويحيـي ويميـت، كل الأمـور بيـده، ومصـير كل العبـاد إليـه، لا إلـه إلا هـو.

اللـه - سـبحانه وتعـالى هـو الفاعـل الحقيقـي في هـذا الكـون، وأن مـا نظنـه هـو الفاعـل مـن البـشر أو غيرهـم مـا هـو إلا سـبب؛ فلـو لم يـرد اللـه أمـرًا لـن يحـدث أبـدًا، والمدبـر يعنـي -أيضًـا- أن اللـه -سـبحانه وتعـالى- يدبـر شـؤون عبـاده المؤمنـين بمـا هـو أصلـح لدينهـم ودنياهـم.

فـاذا أردت الفـلاح في الدنيـا والآخـرة ادعُ اللـه أن يدبـر لـك؛ فأنـت ليـس بيـدك شيء إلا السـعي دائمًـا بالأسـباب، واللـه ولي التدبـير لـك وللمخلوقـات جميعًـا.

٢

«يدبر الأمر»

تكررت في كتاب الله ٤ مرات:

فعل «يدبّر الأمر» قد أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه الكريم، وجاء ذكره في أربعة مواضع من القرآن الكريم. وهو فعلٌ عظيم يقف عنده العباد، ليُحققوا من ورائه أصلًا من أصول الإيمان بالقضاء والقدر.

تدبير الله تعالى هو من أعظم صفاته، وهو الذي يُظهر لنا عظيم حكمته وقدرته في كل ما حولنا. القرآن الكريم مليء بالآيات التي تُظهر تدبير الله في خلقه، وفيما يلي بعض هذه الآيات:

- سورة يونس (الآية ٣): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ...﴾.
- سورة يونس (الآية ٣١): ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.
- سورة الرعد (الآية ٢): ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ... ﴾.
- سورة السجدة (الآية ٥): ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...﴾.

هذه الآيات تُظهر لنا أن تدبير الله شامل لكل شيء في الكون، من خلق

السماوات والأرض إلى تدبير شؤوننا اليومية؛ فهو الذي يُدبِّر كل أمر بحكمته وعلمه، ولا يخفى عليه شيء.

عندما نتأمل في تدبير الله، نجد أنه يبعث في قلوبنا الطمأنينة والرضا. فهو الذي يقدر لنا الأقدار، ويُسير لنا الأمور، ويُعيننا في كل خطوة. لذلك، يجب علينا أن نُسلم له أمرنا، ونثق في تدبيره، ونعمل بما يرضيه.

نستخلص من الآيات أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بـ:

٣

تدبير السماوات

هذه الآيات تُخشِع القلوب، وتوقِظ العقول، وتُذكرنا بعظمة الله وتدبيره لملكوت السماوات والأرض. فكل شيء في هذا الكون يسير بأمره، ويجري بتقديره، فلا يحدث شيء إلا بحكمته ولطفه.

يُذكِّرنا الله في آياتٍ عظيمة بجلاله وكمال قدرته، فيقول: إنه هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما. فهل تأملت؟ هل رفعت نظرك إلى السماء؟ هل نظرت إلى الأرض من تحتك؟ ثم قلتَ من أعماق قلبك: يا لعظمة الله وقدرته؟!

وأعظم ما يمكن أن يعيشه الإنسان أن يملأ قلبه يقينًا بأن الله هو المدبر، وأنه الحكيم في كل شيء، فلا يقع في الكون شيء عبثًا، ولا يجري فيه أمرٌ بلا حكمةٍ أو علم. حتى ما نراه شرًّا قد يكون في طياته خير لا نُدركه.

فإذا استقرّ هذا اليقين في القلب، سكنت النفس ورضيت، وأحبَّت ما قدره الله واختاره.

فالله هو الإله الكامل في أسمائه وصفاته، المستحق وحده أن يُعبد، ويُتوكَّل عليه، ويُفوَّض له الأمر كلُّه

٤

تدبير رفع السماء بغير عمد

هذه السماء العظيمة، المرفوعة فوقنا، رفعها الله بغير عمدٍ ترونها؛ فهو سبحانه الذي أبدعها وصوَّرها، خلقها بقدرته، وأمسكها بلطفه، وجعلها آية من آيات عظمته.

هل تأملنا يومًا في ملكوت الله؟ هل وقفنا لحظة نتفكر في هذه السماء العظيمة التي تعلو رؤوسنا؟ أم أننا اعتدنا على رؤيتها فوقنا، والأرض تحتنا، ومضينا في الحياة دون أن نُحرِّك قلوبنا أو نوقظ عقولنا؟

إن الله سبحانه وتعالى يُريد من عباده أن ينظروا بعين التأمل، وأن تتحرك القلوب حين تتفكر في عظمة خلقه وقدرته. هذه السماء التي نراها... ليست إلا سماءً واحدة من سبع سماوات، ورغم ذلك، فقد رفعها الله بغير عمدٍ ترونها، فما بالك بالست الأخرى التي فوقها؟!

عندما يبني الإنسان شيئًا مرتفعًا، فلا بد له من أعمدةٍ تدعمه؛ فالغرفة لا يثبت سقفها إلا بدعامات، وأي بناء شاهق لا يقوم إلا على ما يحمله ويثبّته. أما السماء، فلا تسندها أعمدة، ولا ترفعها دعامات، ومع ذلك، تظل قائمة، لا تميل ولا تسقط.

لماذا؟

لأن الذي خلقها هو الله العظيم، القادر، القدير، الذي لا تُقاس أفعاله بقدرات البشر،

- ولا تحكمه قوانين المخلوقين. ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس، ٨٢].

رفع السماء بغير عمد؛ لأنه سبحانه لا يحتاج إلى أدواتنا، ولا إلى قواعدنا الهندسية؛ فهو الذي خلق كل شيء من العدم، وأتقنه بحكمته، وأحكمه بقدرته. فهل يستطيع أعظم مهندس في الدنيا أن يبني سقفًا واسعًا وعظيمًا بلا أعمدة؟ الجواب: لا يستطيع.

أما الله الخالق، العظيم، الجليل، فهو القادر وحده، رفَعَ السماء، وبسَط الأرض، وأتقن كل شيء، بحكمةٍ لا يُدركها عقل، وبرحمةٍ تشمل كل شيء.

٥

تدبير الأَرْض

تدبير الله للأرض يعني: تصرُّفه المطلق فيها بحكمة وعلم وقدرة ورحمة، دون شريك أو معين. وهو تدبير شامل لكل ما على الأرض وما فيها وما تحتها، من جماد، ونبات، وإنسان، وحيوان، وكل حركة وسكون.

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأرض، هذه الأرض الممهدة التي نمشي عليها، وتحتها سبع أرَضين، طبقات بعضها فوق بعض. من الذي خلقها؟ من الذي مهدها؟ من الذي سخَّرها لنعيش عليها؟ إنه الله، الملك العظيم، الذي جعل منها: أجزاء صالحة للزراعة، وأجزاء فيها أنهار، وأخرى فيها مياه جوفية، وبعضها يحوي بحارًا مالحة، ومنها ما هو جبلي، ومنها ما هو سهلٌ منبسط.

تدبير خلْق الأرض :

- خلَق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ومنافعها.
- جعلها مهيأة للحياة: فيها هواء، وماء، وليل ونهار، وسُبلٌ للمعاش.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الرعد: ٤]

تدبير الأرزاق:

- يسوق المطر، وينبت الزرع، ويفتح أبواب الرزق لعباده بطرق لا يدرونها.
- يوزِّع الأرزاق بين الناس والأنعام لحكمة.

كل هذا من تدبير الإله العظيم، القوي، القادر، جل جلاله. هو ملك الملوك، وخالق السماوات والأرض وما فيهن.

٦

تدبير الشمس والقمر

جعل الله تعالى في السماء شمسًا مضيئةً، وقمرًا منيرًا، وقدَّر لهما منازل، وقدَّر اختلاف الليل والنهار. لم يخلقها الله فقط ثم ترك الأمور تسير!

بل هو سبحانه: الخالق والمدبِّر. هو الذي يدبِّر أمر الخلق لحظة بلحظة، ويُحكم النظام الكوني بدقة مطلقة، لا يعتريها خلل.

تدبير الله ليس مجرد تنظيم، بل هو تحكمٌ مطلق في كل ما يحدث في هذا الكون.

حين تشرق الشمس، ويغيب القمر، وحين يظهر القمر ليلًا ويختفي نهارًا،

فهذا ليس مجرد تبادل بين نورين، بل هو نتيجة تدبير الله العظيم، الذي يُنظم، ويُقدِّر، ويُحكم الأوقات، بحيث لا تختلط، ولا تتقدم، ولا تتأخر عن أوانها.

فالشمس لا تُشرق في الليل، والقمر لا يظهر في وضح النهار، وهذه الدقة والانضباط شاهدٌ على عظمة المدبِّر الحكيم.

٧

تدبير تعاقب الفصول

الشتاء، فالربيع، ثم الصيف، ثم الخريف، يتعاقب كل منها في موعده، بدقة لا يقدر عليها البشر. فهل يمكن لهذا التتابع أن يحدث عبثًا؟ أبدًا.

لو كان بيد البشر، لما استقر فصل، ولا انتظم وقت، لكن الله الذي يدبِّر الأمر؛ هو من يُسيِّر حركة الأرض، فيتغيَّر المناخ، وتتبدَّل الفصول.

٨

تدبير الليل والنهار

في بعض الأيام ترى الفجر في الساعة الخامسة، ثم يتأخر أو يتقدم مع تغير الفصول. ويأتي الشروق في السادسة، ثم يتبدل موعده كل يوم قليلًا. ما الذي يحصل؟ إنه الله القدير؛ ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [الحديد: ٦].

هذا هو التدبير الرباني الذي لا يعتريه نقص.

نحن بحاجة إلى أن نُدرك هذا المعنى العظيم .. ليس مجرد أن نقول

«**الله عظيم**» بكلمات باردة، بل أن نملأ قلوبنا بهذا اليقين، وأن نستشعر بعقولنا وأرواحنا أن الله هو المدبِّر؛ هو الذي يُسيِّر الكون بحكمةٍ، ورحمة، وقدرة.

كل ظاهرة نراها... كل شروق وغروب... كل تغير في الفصول... كل قطرة ماء، وكل نسمة هواء... كلها من تدبيره سبحانه. فلا شيء في هذا الكون يسير عشوائيًا، بل وراءه إله عظيم يدبِّر الأمر.

٩

تدبير الخلق فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [يونس: ٣].

لفت الله أنظارنا إلى هذه الحقيقة العظيمة: أن خلق السماوات والأرض تم في ستة أيام، مع أنه سبحانه قادر أن يخلقها في لحظة بكلمة: «**كن فيكون**». لكن حكمته اقتضت أن يتم الخلق على مراحل؛ لإظهار اللطف، والرفق، والتنظيم في أفعاله. ليُعلِّمنا كيف نُدبِّر حياتنا بلطف، لا بعجلة، فكل أمر عنده بمقدار، وكل فعل في وقته.

كما قال نبيُّنا ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**».

أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣).

كل فعلٍ من أفعاله منسوجه بالحكمة، محفوفه بالعناية.

يقول تعالى مبينا أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما. ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فيهما من أمره ما أودع ﴿**اسْتَوَى**﴾ تبارك

وتعالى ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - تفسير سورة يونس - آيه ٣

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته، ومن هناك، من العرش العظيم، يدبِّر الأمر.

يدبِّر أمر السماوات، وأمر الأرض، وأمر الخلائق جميعًا، من أدناهم إلى أعلاهم.

١٠

تدبير واقع الحياة

كثيرٌ من الناس يظنون أن مواضع الاعتبار والتفكر تكمن في الخلق وحده؛ خلق السماوات والأرض، والجبال، والبحار... لكنهم يغفلون عن الاعتبار الأعظم: تدبير الله لهذا الخلق! تدبيره للإنسان... كيف يخلقه؟ كيف يرزقه؟ كيف يقضي أمره؟ كيف يبتليه ويهديه ويميته ويحييه؟ كيف يقدِّر له السعادة أو الشقاء؟

حين تغمر الغفلةُ الإنسان، وتُغشيه زينة الدنيا ينسى ... ينسى أن الله هو المدبِّر، ويظن أن الفاعل هو هو، يتحرك، يسافر، يتاجر، يُعطي ويمنع... ثم ينسى أن كل ذلك بمشيئة الله وتدبيره.

وحين يحتكُّ الإنسان بأخيه الإنسان، ويحدث خلاف أو ظلم، أو منع أو أذى... قد يظن أن الإنسان هو من يملك الضر والنفع، فينشأ الخوف،

ويتسلط القلق. لكن الحقيقة أن الإنسان فتنةٌ للإنسان، ولا يملك له ضرًّا ولا نفعًا، ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا.

فمن أيقن بتدبير الله، هان عليه الخلق، وصار قلبه معلقًا بالمدبِّر الحكيم، لا بمن لا يملكون شيئًا من أمر أنفسهم!

تأمل في تدبير الله، كما تتأمل في خلقه، واعبد الله على بصيرة، واطمئن، فليس هناك أمرٌ يخرج عن حكمة الله وقدره.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

١١

نماذج من التدبير الرباني العظيم لأنبيائه وأوليائه

كتاب الله مملوء بخبر هذا التدبير: قصص الأمم السابقة، أنباء الأنبياء، تصريف الله لأحوالهم، نصره لهم، أو هلاكه لمن ظلم. آيات التدبير في القرآن كثيرة ، لأنها تُحيي القلب إذا تدبرها المؤمن.

تدبير الله لأمر هاجر أم إسماعيل عليه السلام:

بعد عناء السفر الطويل، يترك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل في أرض قاحلة جرداء، لا ماء فيها، ولا طعام، ولا أنيس...

في تلك اللحظة، تسأله هاجر في رجاء: **«آلله أمرك بهذا؟»**

قال: نعم.

قالت: **«إذًا لا يُضيِّعنا الله»**.

صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣٣٦٤

يا لها من ثقة مطلقة بتدبير الله! يا له من يقينٍ يُنير القلب ويهز الجوارح!

ما أحوجنا اليوم لتعزيز هذه المعاني الإيمانية، التي غابت عن كثير من النفوس، فعقيدتنا تعلِّمنا أن الله لا يكتب شرًّا محضًا، وأن الخير فيما اختاره الله، ولو خالف رغبتنا؛ وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذا بقوله: **«عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ، إن أمره كلَّه له خير...»**.

الألباني | الرقم: ١٤٧- أخرجه أحمد (٢٣٩٣٠)

تدبير الله لأمر يوسف عليه السلام:

في لحظة حسد وظلم، أُلقي يوسف في غيابة الجب، وانفطر قلبه صغيرًا حين فُصل عن أبويه، ثم انتقل من الجب إلى القصر، ومن القصر إلى السجن، وفي كل مرحلة كان يُبتلى ابتلاءً بعد ابتلاء... لكن الله كان يدبِّر له الخير، فبعد سنوات من الصبر والألم، يقول الملك: ﴿ **ائْتُونِي بِهِ**﴾ [يوسف: ٥٤]. ويرفعه الله، فيصبح على خزائن مصر، ويقبل الناس عليه من كل حدب وصوب. وهكذا... من الجب إلى الملك، كل ذلك بتدبير الله الحكيم، الذي لا يضيع من يتوكل عليه.

تدبير الله لأمر موسى عليه السلام:

خافت أم موسى على وليدها من بطش فرعون، فأوحى الله إليها: ﴿ **أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ** ﴾ [القصص: ٧].

ألقته في اليم، فكان في عين الناس خطرًا، ولكنه في عين الله تدبيرٌ مقدَّس، فأوصله اليم إلى بيت الطاغية نفسه، الذي كان يقتل الأبناء خشية أن يزول ملكه على يد أحدهم... فإذا بموسى يُربى في قصره، ويكون هو نفسه سبب زواله، وتتحقق إرادة الله.

يَقولُ ابنُ عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهما-: «كَانَ بينَ قَولِ فِرعونَ: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص:٣٨]، وبينَ قَولِه: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات:٢٤] **أربعونَ سَنةٍ**».. في هذهِ السِّنينَ، كانَ هناكَ تدبيرٌ في السَّماءِ،

فَوُلِدَ موسى -عليهِ السَّلامُ-، وتربَّى في قَصرِ فِرعونَ، ثُمَّ خرجَ إلى مَدينَ، ومكثَ فيها عشرَ سنينَ يرعى الغنمَ، ثُمَّ رجعَ على قَدرٍ من اللهِ -تعالى-، فدخلَ على فِرعونَ وقالَ له قولًا لينًا، وأراهُ الآياتِ الكُبرى، فطَغى، وكذَّبَ وعصى، ثم أدبرَ يسعى، فماذا كانتْ النِّهايةُ، جاءَ الحكمُ ممن يُدبِّرُ الأمرَ: ﴿ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤].

القرآن الكريم - تفسير القرطبي -تفسير سورة القصص - الآية ٣٨.

تدبير الله لأمر مريم عليها السلام:

مريم، الطاهرة العابدة، يبلغ بها الألم مداه، وتواجه المخاض وحدها، فتنطق كلماتها من قلب مكسور: ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣].

ولكنها لم تكن تعلم... أن في بطنها نبيًّا كريمًا، وكلمة من الله. إنه تدبير الله... حين يشتد الضيق، وتغيب الأسباب، فلا تيأس، فالله يدبِّر لك ما هو أعظم مما تتخيل.

تدبير الله لأمر محمد ﷺ:

ما من نبيٍّ مرَّ بابتلاءات متتالية كابتلاءات الحبيب محمد ﷺ، ففي عامٍ واحد فقط، فقد فيه عمَّه أبا طالب، وزوجته خديجة رضي الله عنها، ثم رُميَ بسَلَا الجزور على ظهره وهو ساجدٌ لله، وخرج من مكة مُكرَهًا، مطرودًا، مُلاحقًا بأذى المعتدين وكيد الكافرين، حتى لجأ إلى غارٍ صغير لا يقي من عدوٍّ، ولا يدفع عن جسد، ومع ذلك قال لصاحبه وهو في أحلك المواقف: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠].

الله يدبِّر أمره، وهو أعلم بمآل الطريق... ولما حاول العودة إلى مكة لأداء العمرة مُنِعَ من دخولها، وحدث صلح الحديبية، الذي ضاق المسلمون ذرعًا ببنوده، وظنوا أنه تراجع وخسارة، حتى قال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه: «ألسنا على الحق؟! فَلِمَ نعطي الدنيَّة في ديننا؟!».
أي: لماذا نقبل بالذل أو التنازل في أمر ديننا؟
- الدنيَّة: تعني الشيء الحقير أو المنقوص أو المذل.
- نُعطي الدنيَّة: أي نقبل بالضعف أو التنازل في موقف يتعلق بالدين.
صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٢٧٣١

وهذه العبارة جاءت في سياق صلح الحديبية؛ حيث رأى عمر أن بنود الصلح فيها نوع من التنازل الظاهري للمشركين، فلم يكن راضيًا عن ذلك في البداية، وحَلَقُوا رُؤُوسَهُمْ حُزْنًا وَغَمًّا، لكن السماء كانت على موعد مع البشرى فَنَزَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، بِقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُبَشِّرًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:١].

فكان الصلح فتحًا ونصرًا عظيمًا للإسلام.

فالدِّينُ ظَاهِرٌ، والحقُّ على طريقِ النَّصرِ، فإنَّ اللهَ يُدبِّرُ الأمرَ، فَثِقْ أَنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَ اللَّهُ

فَهُوَ حَتْمٌ حَاصِلٌ، لَا يَرُدُّهُ قَلَقٌ، وَلَا يَجْلِبُهُ حِرْصٌ، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ حَسَرَاتٍ عَلَى رِزْقِكَ، وَلَا يَمْتَلِئْ وِجْدَانُكَ كَدَرًا خَوْفًا عَلَى أَجَلِكَ.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١].

فكان هذا الصلح، في ظاهرِه تراجع، لكن في باطنه فتح ونصر وتمكين. هذا هو تدبير الله...

فعاد النبي ﷺ بعد سنوات، لا لاجئًا ولا مطرودًا، بل فاتحًا منتصرًا عزيزًا، ورغم قوته وغلبته، عاد كريمًا رؤوفًا رحيمًا.

وقفنا مع نماذج يسيرة من تدبير الله العجيب، تدبير يظهر لنا ضعف الإنسان مهما ملك، وأن المشيئة كلها بيد الله وحده، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير : ٢٩]. فلا مدبِّر حقيقي لهذا الكون إلا الله، ولا قوة لأحد أمام قدره.

ثبّت قلبك بثلاث:

أ- أن ما أصابك لم يكن في دينك.

ب- أنه كان يمكن أن يكون أعظم... لكنه لُطِّفَ برحمة الله.

ت- أن الله سيجزيك عليه الجزاء الأوفى.

فاصبر، وابقَ في الصف، فالدين ظاهر، والنصر قادم، لكن المهم... ما هو دورك في أيام الصبر؟ فإن الله يدبِّر الأمر، فثِق به، وكن راضيًا عن تدبيره وإن خالف هواك.

١٢

رسائل الإيمان من تدبير الرحمن

فإنك حين ترى الغيمات تتلبد في سماء حياتك، حين تُغلق في وجهك الأبواب، وتظن أن الدنيا أظلمت... ثق أن الله يدبر أمرك. «فَثِقْ أن كل ما قدَّره الله فهو حتمٌ حاصل، لا يرده قلق، ولا يجلبه حرص».

لا تحزن على رزق فاتك، ولا تكدِّر قلبك بخوف على أجلك، فالذي كتب الأقدار هو الرحمن الرحيم.

الرزايا والبلايا في طياتها عطايا، وقد تأتي الأماني بعد طول مشقة، لكنها ستأتي، في الوقت الذي يقدِّره الله، وهو الوقت الأنسب لك... لا لأمنياتك.

فقد يمنع الله عنك شيئًا ليرفعك، ليطهِّرك، ليقرِّبك إليه...

وقد يكون المرض رحمة، وقد يكون الفقد تنبيهًا، وقد يكون المنع خيرًا من العطاء.

فمن تعرَّف إلى الله بهذا الفعل، أدرك أن تدبيره سبحانه:

- كله حكمة.
- وكله خير.
- وكله لطف.

هل تدبير الله سبحانه وتعالى: تربية؟ وتهذيب؟ ورحمة؟ أم هو عقاب؟ وعذاب ونكال؟

ليس هذا هو المقصود من **«فعل التدبير»...**

إن تدبير الله يأتي على: أحسن وجه، وأكمل وجه، وأجمل وجه.

فلا تظنَّ أن تدبيره عز وجل ناقص، أو فيه خلل، أو يُعاد النظر فيه! بل هو التدبير الأتم، الأكمل، الأحسن، والأجمل.

ما من بلية إلا وفيها فرصة، وما من قَدَرٍ إلا ويحمل بين جنبيه معنى، وما من صبر إلا وعقبه فرجٌ جميل، أو أجرٌ جليل، ثِقْ أنَّ اللهَ لا يبتليك ليعذِّبك، بل ليرفعك، ليطهِّرك، ليُظهر لك من رحمته ما لم تكن تراه في الرخاء.

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:٢١٦]

كل دمع سكبته في ألم، كل دعاء خرج منك في سَحر، كل صبر صبرتَه في الخفاء، له وزنه في ميزان الرحمن، فلا تيأس. فما دام الله هو المدبر، فاطمئن... فإن التدبير بيده خير من كل تدبير.

اجعل شعارك:

- ما دام ربي قد قدَّر، فلن أجزع.
- وما دام ربي يدبِّر، فلن أقلق.
- وما دام ربي يُحسن، فلن أسيء الظن.

لكن هذا الإدراك لا يكون إلا لمن رضي بالله ربًا، ولمن آمن بكمال صفات خالق السماوات والأرض، الذي استوى على العرش، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام، ويعرج إليه الأمر في يومٍ كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدُّون.

لكن السُّؤالُ الأعظمُ: كيفَ ينظرُ المسلمُ إلى تَغيُّراتِ الأحوالِ، حتى يبقى راضيًا راسخًا كرسوخِ الجِبالِ؟

اسمعوا معي لهذه الآية، ولكن بقلوبكم وليسَ بآذانكم: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس:٣].

لا إلهَ إلا اللهُ.. يُدبِّرُ الأمرَ..

فبينما أنتَ في قلقِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ..

وبينما أنتَ في خوفِكَ، هناكَ مَن يُدبِّرُ أمرَكَ..

وبينما أنتَ في عجزِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ..

وبينما أنتَ في ضَعفِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ.. وهو أعلمُ بكَ منكَ، وهو أرحمُ بكَ منكَ.. فكيفَ بعدَ ذلكَ يقلقُ أهلُ الإيمانِ، وهم يعلمونَ أن تدبيرَ الزَّمانِ، بيدِ القوي القادرِ العليمِ الرَّحمنِ.

١٣

الله وحده الله... المدبِّر لكل شيء

إن الله هو المدبِّر الحقيقي لجميع شؤون الكون، من خلق وتدبير وتسيير. فكل ما يحدث في هذا العالم هو بتقدير الله وتدبيره الحكيم.

ومع ذلك، نجد أن كثيرًا من الناس يجهلون أو يغفلون عن هذه الحقيقة، فيظنون أن تدبيرهم لأمورهم هو الأساس، ويتصورون أن لديهم القدرة على التحكم الكامل في مجريات حياتهم. لكن الحقيقة أن تدبير الله هو الأصل، وتدبير الإنسان ما هو إلا سبب من الأسباب التي يقدِّرها الله.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

أي: ﴿ قل﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطانًا ـ محتجًا عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية ـ ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟ ﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ أي: من الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضول بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما. ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات. ﴿ فَقُلْ﴾ لهم إلزامًا بالحجة ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله، فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ لأنهم يعلمون بالفطرة، ولا يملكون غير هذا الجواب لشدة وضوحه.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة يونس -آية ٣١.

فـ قل لهم: أفلا تتقون؟! أفلا تخلصون العبادة له وحده؟ أفلا تخافون أن تشركوا به بعد أن عرفتم أنه الخالق المدبِّر الرازق؟!

في هذه الآيات، يحتجُّ الله على المشركين بإقرارهم الفطري، بأن الله وحده هو المدبر، وهو الخالق، وهو الرازق، وهو من له الأمر كله.

«أإله مع الله؟»

- اقتباسٌ مباشرٌ من الآية، يلفت الانتباه ويثير التفكر؛ قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠].

من يُنزل من السماء المطر؟ من يُخرج الحبَّ والثمار؟ من يُحيي الأرض بعد موتها؟ إنه الله، لا إله إلا هو.

﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل:٦٠]

من يملك السمع والبصر؟ من الذي وهب لك قوة السمع والبصر؟ من خلقهما بدقة وفطرة بديعة؟ من لو شاء لسلبك إياهما؟

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أي: أَمَّن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك.

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ ﴾ أي: لأجلكم ﴿ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ﴾ أي: بساتين ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي: حسن منظر من كثرة أشجارها، وتنوعها وحسن ثمارها، ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ لولا منة الله عليكم بإنزال المطر. ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ فعلَ هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟ ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ به غيره، ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي -سورة النمل -آية ٦٠.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [الملك: ٢٣].

من يُخرج الحيَّ من الميت، ويُخرج الميت من الحي؟ سبحانه يخرج النَّسَمة من النطفة، والطير من البيضة، والسنبلة من الحبة... ويُخرج النطفة من الإنسان، والبيضة من الطائر. بل يُخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من ظهر المؤمن!

مـن يُدبـر الأمـر؟ مـن بيـده ملكـوت كل شيء، يُعـزُّ مـن يشـاء، ويُـذلُّ مـن يشـاء، لا يُسـأل عـما يفعـل، وهـم يُسـألون، الـكلُّ لـه فقـير، الـكلُّ عليـه معتمـد، الـكلُّ بيـده، وإليـه يُرجـع الأمـر كلـه. اللـه ربُّ كل شيء، ربُّ الملائكـة والجـنّ والإنـس، ربُّ الطـير والوحـش، ربُّ النجـوم والشـمس والقمـر، بـل ربُّ كل شيء... مـن أكـبر كوكـب، إلى أصغـر نملـة. هـو مـن خلقهـم، وسـوَّاهم، وأحياهـم، ويدبِّـر شـؤونهم، ويرزقهـم، ولا يشـغله شـأن عـن شـأن.

أتـرى النملـة التـي تخـرج مـن جحرهـا تبحـث عـن رزقهـا؟ أتـرى العصفـور الجائـع في عشِّـه ينتظـر قـوت يومـه؟ أتـرى العبـد في سَـحر الليـل يتـضرَّع؟ أتـرى السـماء ومـا فيهـا مـن مواضـع مـا فيهـا موضـع أربـع أصابـع إلا وملـك سـاجد أو راكـع؟ كل هـؤلاء ربُّهـم اللـه، يسـمعهم، يرعاهـم، يدبِّـر أمرهـم، لا يضـلُّ، ولا ينـسى، ولا يعجـز. ﴿ **يَسْـأَلُهُ مَـن فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَـوْمٍ هُـوَ فِي شَـأْنٍ** ﴾ [الرحمـن: ٢٩]

فهـو -سُـبحانَه- يُحيـي ويُميـتُ، ويُعـزُّ ويُـذلُ، ويُسـعدُ ويُشـقي، ويُغنـي ويُفقـرُ، ويُكـرمُ ويُهـينُ، يُجيـبُ دَاعيًـا، ويُعطـي سَـائلًا، ويَفُـكُّ عَانيًـا، ويَشـفي سَـقيمًا، يَغفـرُ ذَنبًـا، ويُفـرجُ كَربًـا، ويَرفـعُ قَومًـا وَيضـعُ آخريـنَ، يُدبِّـرُ أَمـرَ الخلائـقِ أجمعـينَ.

١٤

تفكر العقول وذكر القلوب بعظمة المدبر

قـال تعـالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِـلَافِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لَآيَـاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَـابِ، الَّذِيـنَ يَذْكُـرُونَ اللَّـهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَـلَىٰ جُنُوبِهِـمْ، وَيَتَفَكَّـرُونَ فِي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـتَ هَـٰذَا بَاطِـلًا، سُـبْحَانَكَ، فَقِنَـا عَـذَابَ النَّـارِ** ﴾. [آل عمـران: ١٩٠–١٩١].

هـذه الآيـات تصـف صنفًـا مـن عبـاد اللـه، ميزتهـم أنهـم لا يذكـرون اللـه

في لحظات معينة فقط، بل يذكرونه في كل حال: قيامًا، قعودًا، وعلى جنوبهم. وفي كل هذه الأحوال... لا يكتفون بالذكر، بل يرافقه عبادة جليلة هي التفكر. يتأملون في خلق السماوات والأرض، فيرون فيهما آيات عظيمة تدل على عظمة الخالق. هؤلاء هم أولو الألباب، الذين لا تمر بهم مشاهد الكون مرورًا عابرًا، بل تحرك قلوبهم، وتوقظ عقولهم، وتدفعهم للاعتراف بعظمة الله قائلين: ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا، سُبْحَانَكَ، فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾.

فهذا التفكر عبادة، وهذا الذكر حياة، وهذه المعرفة يقين

١٥

وعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

عندما يُخبرك العظيم أن هذا الكون يسير بنظام دقيق، فعليك أن توقن، وألا تقنط، وألا تسيء الظن بربك. فلا شيء في هذا الوجود يقع عبثًا؛ لا ساكنٌ إلا بإذنه، ولا متحركٌ إلا بأمره، وكل شؤون الكون تجري بتدبيره وحكمته.

لقد جعل الله الكون منغلقًا على تدبيره، مغلقًا على إرادته، لا يخرج شيء عن أمره، ومع ذلك فتح لنا نافذة صغيرة نطل منها على شيء من الغيب، لندرك بعضًا من عظمته. قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلًا عن غيرهم من العالمين،

وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها.

﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ﴾ من حبوب الثمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوابت البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات.

﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق -من أولهم إلى آخرهم- لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط. وجل مِنْ إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

القرآن الكريم - تفسير الشيخ السعدي - سورة الأنعام - آية ٥٩.

فإذا كان هذا هو تدبيره... وذاك هو علمه... فاطمئن. ولا تحزن إن لم تفهم حكمة بعض ما يجري، فالمُدبِّر حكيم، والعليم لا يُخطئ

۞ لا تملَّ من الدعاء... فالله لا يملُّ من العطاء

لو طالت عليك الأيام، ولو تأخَّر الجواب، ولو ضاقت نفسك وتساءلت: «أين الفرج؟» فاذكر أن الله لا يُخطئ الموعد، ولا يُهمل

الدعـاء، ولا ينـسى الدمـوع.

﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم:٣٩].

وإذا رأيتَ أن الأمر تأخر، فاعلم أنه لم يُؤخَّر إلا لحكمة، وما حُرِمْتَ شيئًا إلا لخيرٍ أعظم، وما سُكِت عن دعائك إلا ليُخبأَ لك ما هو أعظم من ظنك.

فيا عبدَ الله... لا تَطرقْ بابًا غير بابه، ولا تسألْ أحدًا سواه، فكل الأبواب تُغلق... إلا بابه، وكل الأكفِّ تُرد... إلا من رفعها إليه.

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»

رواه الترمذي (٣٤٧٩).

وكيف لا يعلم عنك؟

إذا كان الله يعلم سقوط ورقة، ويرزق نملةً في جوف صخرة، ويُسيِّر حوتًا في أعماق ظلمات البحر، ويُطعم طائرًا صغيرًا لا حيلة له، ويكسو زهرةً في أرضٍ لا يطؤها إنسان، ويُنبت رزقًا في صحراء قاحلة لا ترى فيها عشبًا ولا ندى...

١٦

إنه يدبِّر الأمر... فارفع قلبك إليه

يا أيها المريض الذي أثقلته الأسقام، وتقلب في فراشه بين أنين الليل ووجع النهار... لا تنسَ أن لك ربًا رحيمًا، لا يغيب عنك لحظة، يدبِّر أمرك بلطفه، ويعلم موضع ألمك وضعفك. ارفع يديك إليه، بقلب منكسر صادق، وقل: «اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك».

أخرجه البخاري (٥٧٤٢)

فلعلّ رحمة الله أن تُدرَكك، فيقال لك كما قيل لنبيِّه أيوب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص:٤٢]

ويا من أثقلته الديون، وتوشَّح بذلِّ الحاجة، ونام مهمومًا يستجدي فرجًا... اعلم أن لك ربًّا كريمًا، بيده مفاتيح السماوات والأرض، لا تنقص خزائنه بالعطاء، فقلها بصدق ويقين: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمّن سواك؛ فلعلّ دعاءك يصعد، ويأتيك الجواب من فوق سبع سماوات: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١].

ويا من ضاقت به الدنيا، وتكاثرت عليه المشاكل حتى خُيِّل إليه ألا مخرج لها... ارفع شكواك إلى من يدبِّر أمر السماوات والأرض، إلى من لا يُعجزه شيء، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن، فيكون. ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

فثِق، واهدأ، واطمئن... فأنت بين يدي المدبِّر الحكيم.

١٧

غيبٌ يُبقي العقول في حدود العبودية

حتى يبقى من اغترَّ بعقله أو تعاظم بعلمه متواضعًا...وحتى يعلم من ظن أنه بلغ الغاية أن فوق كل ذي علمٍ عليم... جعل الله في الكون أسرارًا لا تُدرَك، وعلوما لا تُحتَكَر، وظواهر لا تُفسَّر. ففي هذا الكون من الآيات ما تُسكت كل متكبِّر، وفيه من الغيب ما يُلجم كل مغرور، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

نعم، هناك من يحمل الشهادات العالية، ويقرأ في أدقّ العلوم، ويراقب

الفلك من خلال أدقِّ التلسكوبات، ويفكك المادة في أعمق مختبرات العالم... ومع ذلك... يقف حائرًا أمام ظواهر لا تفسير لها، مجرات تتسع، وسماوات تتباعد، وخلق يتجدَّد...

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

كلَّما مدَّ العلماء أبصارهم إلى أقاصي الكون، وجدوا كونًا جديدًا، وعوالم لم يكونوا يتخيلون وجودها، وهناك – في آخر الأفق – من يشهد أن الله واحد لا شريك له. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

إن الله جل جلاله أبقى شيئًا من العلم عنده وحده؛ حتى لا يطغى أحد بعقله، ولا يظن أنه بلغ الكمال. ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]

ولذلك... لا يليق بالمخلوق إلا أن يبقى عبدًا، ولا يليق بالعبد إلا أن يكون متواضعًا، ولا يليق بالجاهل إلا أن يسأل الرحمن العليم أن يهديه ويعلِّمه ويفهمه.

۞ فكلَّما ازددت علمًا، ازددت يقينًا أن فوق علمك علمًا.

۞ وكلَّما أقبلت على ربك، علمت أن «سبحان الله» هي أعظم ما يليق بعبدٍ لا يعلم شيئًا إلا بما علَّمه ربه.

قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۞ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

إنّ ربوبيةَ اللهِ الشاملة، وعلمه المحيط، وتدبيره المطلق، لا تقتصر على «الكون الكبير» في السماء والأرض، بل تمتد لتشمل أدق تفاصيل حياتك: نفسك، رزقك، صحتك، قراراتك، وما يصيبك من خير أو شر.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾

كلّ شيء، كل شاردة وواردة، أصلها ومنتهاها عنده.

فما المطلوب إذًا؟

﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

كن عبدًا، وتوكل عليه.

الله وحده هو الرب المستحق للعبادة؛ لأنه وحده خالق هذا الكون العظيم، وهو وحده المدبِّر لأمره، بقدرة لا تضاهى، وحكمة لا يُدرك مداها.

هو سبحانه الذي يضمن سير هذا الكون في نظامٍ دقيق، لا يختل ولا يتوقف، ومن تدبر في هذا النظام أدرك أن لا أحد يستحق أن يكون ربًّا سوى الله، فهو الخالق، المدبِّر، العزيز، الحكيم.

ومن هنا، وجب على البشر أن يعترفوا بعبوديتهم له وحده، وأن يتوجهوا إليه في كل أمورهم، وأن يعلموا أن الله وحده الأحق أن يُعبد؛ لأنه لا شريك له في الخلق، ولا شريك له في التدبير.

هنا يظهر جمال العلاقة:

- لأن الله يدبّر كل شيء ← فأنت لستَ بحاجة لأن «تُرهق عقلك» في كل تفصيل.
- لأنه يعلم الغيب ← فأنت لستَ بحاجة لأن تُنهك قلبك في الخوف من المستقبل.
- لأنه لا يغفل ← فأنت لست بحاجة للقلق مما فات أو ما سيأتي.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

ليس فقط يُدبِّر، بل يراقبك، يعلم حالك، ويرحمك.

ما دلالة هذا على أمراض القلوب وضعف الإيمان؟

كثير من أمراض القلوب والنفس – كالقلق، وسوء الظن بالله، والاكتئاب – تأتي من الظن الخاطئ:

- أن العبد يظن أنه مسؤول عن كل شيء.

- أنه يجب أن يفهم كل ما يجري.
- أنه يتوقع أن يعرف الخير من الشر قبل أن يقع.

لكن إذا وقف العبد أمام آيات الله في خلقه وتدبيره:

- رأى السماء تُرفع بلا عمد.
- ورأى الليل يأتي بعد النهار دون خلل.
- ورأى المطر ينزل في حينه، والأرض تنبت.
- والنمل يُرزق في جوف الأرض، والسمك في قعر البحر.

هدأت نفسه.

واستراح قلبه.

وعرف أن خالقه يدبِّر أمر الكون كله، فكيف لا يُحسن تدبير شأنه هو؟!

هل نحن مكلفون بالتدبير الكامل؟

لا. نحن مختبرون فقط في تدبير بعض الشؤون اليومية:

- أكلنا، نومنا، مصاريفنا، قراراتنا الدنيوية. وهذا «تدبير جزئي ضعيف» بعقل محدود، وطاقة محدودة، بما أودعه الله فينا.

أما التدبير الحقيقي فهو تدبير الله:

- تدبير الأمر كله.
- وما من دابة إلا على الله رزقها.
- ولكل أمة أجل.
- وكل شيء عنده بمقدار.

۞ لذلك، الاستسلام لتدبير الله، والرضا به، ليس ضعفًا، بل هو قمة التوحيد.

ولهذا علَّمنا النبي ﷺ أن نقول في سيد الاستغفار:

«اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك...».

أخرجه أبو داود (٥٠٧٠).

فمن عرف أنه عبد، آمن بأن له ربًّا يدبِّر.

الآية: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ = إعلان إلهي أنّ الله هو المدبِّر الوحيد.

التوجيه: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ = أنت مأمور بالعبادة والتوكل لا بالقلق والاحتراق.

الاطمئنان: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ ﴾ = الله يراك، ويسمعك، ويعلم حالك، ويدبر شأنك.

من هنا، يجب على المسلم أن يتواضع، ويعترف بعجزه أمام تدبير الله، وأن يسلم أمره لله، ويتوكل عليه في جميع شؤونه. فالله سبحانه وتعالى هو الأعلم بما يصلح عباده، وهو الأقدر على تدبير أمورهم بما فيه خيرهم.

فإذا أدرك المسلم هذه الحقيقة، فإنه سيشعر بالطمأنينة والرضا، ويعلم أن ما يصيبه من خير أو شر هو بتقدير الله وحكمته، وعليه أن يرضى بقضاء الله وقدره، ويشكره على نعمه، ويصبر على بلائه.

و يجب على المسلم أن يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله، ويسأله أن يُحسن تدبيره، ويُيسِّر له أموره، ويُعينه على ما فيه خير له في دينه ودنياه.

١٨

﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾

هو الله، الذي خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن، وتَنَزَّل أمره بينها جميعًا. لا يخرج من تدبيره شيء، ولا يغيب عن علمه صغير ولا كبير.

أمره يسري في الكون كله: في السماء وفي الأرض، في الكبير والدقيق، في ظاهر الأحداث وباطن المقادير.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾ يدل على الاستمرار والدقة والإحاطة، لنعلم أن الله هو المدبِّر المطلق، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، وأن ما من شؤون السماء أو الأرض إلا وهي في قبضته، تحت أمره، وتدبيره، وحكمته؛ فهو المستحق أن يعبد وحده.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

[ثم] أخبر [تعالى] أنه خلق الخلق من السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء، فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى، وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته،

فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون.

القرآن الكريم - تفسير السعدي -تفسير سورة الطلاق - الآية ١٢

إن تدبير الله تعالى يدخل فيه العديد من أسمائه الحسنى، مثل:

- القيوم: الذي يقوم على تدبير شؤون خلقه.
- الحفيظ: الذي يحفظ عباده من كل مكروه.
- الغني: الذي يغني عباده من فضله.
- القادر: الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- الأول والآخر: الذي كان قبل كل شيء، والذي يبقى بعد فناء كل شيء.
- الوكيل: الذي يتولى تدبير أمور عباده.
- الكفيل: الذي يضمن لعباده ما يحتاجون إليه.

فإذا علمت أن الله تعالى هو المدبر، فلا تشغل نفسك بما لا تقدر عليه، ولا تحمل همًّا إلا ما هو في استطاعتك. بل توكل على الله، وخذ بالأسباب، وكن على يقين أن الله تعالى يدبر لك ما هو خير لك في الدنيا والآخرة.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».**

أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

إنَّ من جوامعِ الأدعيةِ التي كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يواظِبُ عليه، وهو ما أوصى به ابنتَه فاطمةَ رضي اللهُ عنها، حين قالَ لها: **«ما يمنعُكِ أنْ تسمعي ما أوصيكِ به؟ أنْ تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قيومُ، برحمتِك أستغيثُ، أصلحْ لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ».**

حسّنه الألباني ،٠٢٨٥

هـذا الدعـاء مـن أعظـم الأدعيـة التـي تتضمـن تحقيـق العبوديـة للـه رب العالمـين ، وتتضمـن التوسـل إلى اللـه تعـالى بأسـمائه وصفاتـه، فهـو سـبحانه الحـي القيـوم ، الرحمـن الرحيـم ، والعبـد يسـتمد العـون والتأييـد مـن الحـي القيـوم عـز وجـل ، كـما يسـتغيث برحمتـه التـي وسـعت كل شيء ، لعلـه ينـال منهـا مـا يُسـعده في دُنيـاه وآخرتـه. ثـم يسـأل اللـه تعـالى صـلاح الأمـور والأحـوال ، فيقـول: أصلـح لي شـأني كلـه أي: جميـع أمـري: في بيتـي ، وأهـلي ، وجـيراني ، وأصحـابي ، وعمـلي ، ودراسـتي ، وفي نفـسي ، وقلبـي ، وصحتـي...في كل شيء يتعلـق بي ، اجعـل يـا رب الصـلاح والعافيـة حظـي ونصيبـي.

وذلـك كلـه مـن فضـل اللـه سـبحانه وتعـالى ، وليـس باسـتحقاق العبـد ولا بجاهـه ، ولذلـك جـاء ختـم الدعـاء بالاعـتراف بالفقـر التـام إليـه سـبحانه ، والاستسـلام الكامـل لغنـاه عـز وجـل ، فيقـول: ولا تكلنـي إلى نفـسي طرفـة عـين: أي لا تتركنـي لضعفـي وعجـزي لحظـة واحـدة ، بـل أَصْحِبنـي العافيـة دائمًـا ، وأَعِنِّـي بقوتـك وقدرتـك ، فـإن مـن تـوكل عـلى اللـه كفـاه ، ومـن اسـتعان باللـه أعانـه ، والعبـد لا غنـى بـه عـن اللـه طرفـة عـين.

فأكمـل الخلـق أكملهـم عبوديـة ، ولهـذا كان مـن دعائـه: أصلـح لي شـأني كلـه ، ولا تكلنـي إلى نفـسي طرفـة عـين، ولا إلى أحـد مـن خلقـك.

١٩

الله عودك على الجميل فَقِسْ على ما قد مضى

مِـنْ أَجْـلِ نَفْسِـكَ.... مِـنْ أَجْـلِ رَاحَتِـكَ، مِـنْ أَجَـلْ سَـعَادَتِكَ فِي مُسْـتَقْبَلِكَ؛ ثِـقْ بِتَدْبِـيرِ اللَّـهِ، وَكُـنْ مَـعَ اللَّـهِ فِي أَمْـرِهِ وَنَهْيِـهِ، وَاعْلَـمْ أَنَّـكَ عَـلَى الـصِّرَاطِ الْمُسْـتَقِيمِ، فالله يُدبـر أمـرك برحمـةٍ لا حـدود لهـا، لكنـه يريـد منـك شـيئًا واحـدًا: أن تثـق بـه، وأن تسـتودعه أمنياتـك، ثـم تمـضي في حياتـك مطمئنًـا. حـين تتأمـل في حياتـك، سـتجد أن أجمـل اللحظـات لم تكـن دائمًـا تلـك التـي

حصلت فيها على ما أردت، بل أحيانًا كانت اللحظات التي نجاك الله فيها مما كنت تظنه خيرًا لك، أو التي منحك فيها الصبر والسكينة وسط الابتلاء. فليس الخير دائمًا فيما نطلبه، بل فيما يختاره الله لنا.

يُدبِّرُ الأمرَ.. فبينما أنتَ في قلقِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ.. عندما تتعمق في فهم تدبير الله، ستجد أن كل لحظةٍ في حياتك لم تكن صدفة، بل كانت مُرتبة بعناية إلهية، حتى تلك اللحظات التي كسرتك أو أبكتك أو جعلتك تتساءل: «لماذا يحدث لي هذا؟» ستدرك لاحقًا أنها كانت جسورًا عبَرت بك نحو ما هو خيرٌ لك.

فتأمل في أيامك الماضية، ستجد أن الأبواب التي أُغلقت كانت بداية لطريقٍ أجمل، وأن المصاعب التي مررت بها زادتك قوةً وخبرةً، وأن ما كنت تراه شرًا ربما كان أعظم نعمة في حياتك.

فكن مع الله، واطمئن، ودعه يدبر أمرك، فهو أعلم بما ينفعك، وألطف بك من نفسك.

كل تجربةٍ مررت بها، وكل ألمٍ شعرت به، وكل موقفٍ ظننته نهاية، كان في الواقع درسًا أو حمايةً أو نقطة تحوّلٍ في طريقك.

لهذا، سلّم أمرك لله، وارضَ بما يكتبه لك، واجعل قلبك مطمئنًا دائمًا بأنك في رعاية الله. واذكر قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. فإذا وجدت الطمأنينة في قلبك، لن يهزَّك تقلب الدنيا؛ لأنك تعلم أن يد الله تدبِّر أمرك بلطفٍ وحكمةٍ ورحمة.

وبينما أنتَ في خوفِكَ، هناكَ مَن يُدبِّرُ أمرَكَ.. فكل تجربةٍ مررت بها، وكل ألمٍ شعرت به، وكل موقفٍ ظننته نهاية، كان في الواقع درسًا أو حمايةً أو نقطة تحوّلٍ في طريقك. كم مرة دعوت الله بشيءٍ وأصررت عليه، ثم اكتشفت لاحقًا أنه لم يكن خيرًا لك؟ وكم مرةٍ حزنت على ما فقدت،

ثم فهمت لاحقًا أن الله قد عوضك بأفضل منه؟

حين تؤمن بأنك في رعاية الله، تهدأ روحك، فلا تخاف مما هو قادم، ولا تندم على ما فات. تدرك أن كل شيءٍ يسير وفق حكمةٍ لا تخطئ، وأن الأيام التي ظننت أنها الأسوأ، كانت في الحقيقة تمهيدًا لأجمل الأقدار.

وبينما أنتَ في عجزِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ.. فقد ترى نفسك عالقًا في طريقٍ مسدود، لكن الله يُمهّد لك طريقًا آخر لا تتوقعه. قد تتعلق بشيء، فيأخذه الله منك؛ ليمنحك ما هو أفضل. وقد تشعر أنك وحيد، لكن الله يحيطك بلطفه ورحمته في كل لحظة.

كم من مرة بكيت على أمرٍ ظننت أنه نهاية الطريق، ثم اكتشفت أنه كان مجرد بداية لشيء أجمل؟ كم من مرة أغلقت الدنيا أبوابها في وجهك، فوجدت أن الله قد فتح لك بابًا لم يخطر لك على بال؟ هذه ليست مصادفات، بل هي ألطافٌ إلهيةٌ لا نراها إلا بعد حين.

كل خسارةٍ تُشعِرُك بالضيق، خلفها عطاءٌ لم تدركه بعد. كل منعٍ ظننته حرمانًا، وراءه حفظٌ ولُطفٌ خفي. وكل لحظة تأخيرٍ تظنها تأخيرًا، هي في الواقع إعادة ترتيبٍ لمصيرك بما يناسبك أكثر.

وبينما أنتَ في ضَعفِكَ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ.. حتى تلك اللحظات التي لم تفهمها وقتها، ستدرك لاحقًا أنها كانت لصالحك. فقد يمنع الله عنك أمرًا تعلَّقت به بشدة، لا لأنه لا يريد لك الخير، بل لأنه يريد لك الأفضل. وقد يُبطئ عنك الاستجابة، لا ليحرمك، بل ليختبر صبرك ويهيئك لعطاءٍ أعظم مما طلبت.

وكلما شعرت بالحيرة، تذكَّر هذه القاعدة العظيمة: «لن يُضيِّعك الله أبدًا.» فكيف يضيِّعك وهو الذي خلقك؟ وكيف يهملك وهو الذي يسمع أنينك، ويرى دموعك، ويعلم ضعفك؟ فقط اقترب منه، وادعه بيقين، وسلِّم له أمرك، وسترى كيف يُغيِّرك الله قبل أن يُغيِّر حالك،

وكيف يُهيِّئ قلبك قبل أن يُهيِّئ لك الطريق.

وبينما أنتَ في حزنك ، هناكَ من يُدبِّرُ أمرَكَ.. متى ما استقر في قلبك معنى **«يدبِّر الأمر»** لن تحزن على فوات الفرص، ولا على أمنية لم تتحقق، ولا على تغير وداد أحدهم، فقط تذكر دائمًا أن تدبير الله لك أعظم مما تتخيل، وأنك بين يديه، في أمانٍ دائمٍ، حتى في أشد لحظاتك ضعفًا. وإن ضاقت بك الدنيا يومًا، فقل بقلبٍ مؤمنٍ: **«أنا في رعاية الله، وهو لا ينساني».**

لن تحزن على قضاء الله؛ لأن لديك من اليقين ما يكفي لتواجه هذه المصاعب، ما يكفي ليجعلك تتخطاها، لأنك مؤمن إيمانًا تامًّا أن الله يدبر أمرك كله بأحسن صورة وألطف تدبير».

لا تترك الحزن يسرق منك يقينك، ولا تجعل تأخر الإجابة يضعف إيمانك؛ فالله لا ينسى عباده، لكنه يمنحهم الخير في الوقت الذي يراه مناسبًا، وبالشكل الذي يُصلح قلوبهم.

لذلك، لا تترك الحزن يعميك عن رؤية الخير الذي يخبئه الله لك، ولا تجعل تأخر الفرج يُضعف يقينك. إن كنت في ضيق، فاعلم أن الله يُدبر لك أمرًا فيه الفرج. وإن كنت في انتظار، فكن متأكدًا أن الله لا يُؤخر عنك إلا ما فيه خيرك. وإن تعثَّرت في الطريق، فاذكر أن الله لم يتركك لحظة، وأنه يكتب لك قصةً أجمل مما كنت تتخيل.

فقط سلِّم أمرك لله، وارضَ بتدبيره، وابقَ على يقين بأن الله لا يضيع عبدًا أحسن الظن به. واذكر دائمًا: ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٤٥].

سيدبر أمرك، ويعتني بشؤونك، ويكشف عنك غمامة الأحزان، ويسخر لك من تحب، ويفتح لك أبوابًا مغلقةً، ويعوضك ما فقدت أو فاتك، ويحقق لك الأحلام والأمنيات، ويذهب عنك ضيق الصدر وألم القلب،

ووجع العقل وكل خواطر السوء، إنه يدبر أمر ك، فلا تغفل عن ذكره وشكره ودعائه.

قالوا لا تسأل أحدًا ..

- لا تسأل أحدًا لماذا غاب عنك!
- لا تسأل أحدًا لماذا لم يساعدك!
- لا تسأل أحدًا لماذا هجرك وتخلى عنك!
- لا تسأل أحدًا لماذا لا يهتم بك!
- لا تسأل أحدًا لماذا لم يحبك الحب الكافي!
- لا تسأل أحدًا لماذا لا يقدرك!

اسأل من يدبر أمرك، اسأل من لا يعجزه شيء، اسأل من خزائنه لا تنفد، وعطاؤه لا ينقطع؛ فالعبد يتبرم وينزعج ويتضايق من كثرة السؤال، والرب يحب العبد اللحوح؛ اطرق بابه أكثر من سؤاله، وبالغ في طلبك، تيقن وثق وتأكد واعزم أنه يدبر الأمر.

٢٠

لو كُشف لك الغيب لاخترت تدبير الله

لو رأيت الصورة الكاملة لعلمت أن الله يهيئ لك الخير بطريقة لا تخطر لك على بال. يجب أن نعلم أن الله -تعالى- هو الذي يسوق كل شيء لكل شيء؛ فهو الذي يسوق لك السبب ليحصل لك ما تريد، فيدبر لك الطبيب الذي يكون سببًا في شفائك، ويدبر لك من يوظفك في وظيفة ما، ويمنعك من وظيفة قد ترغب فيها لحكمة يعلمها، ويدبر لك راتبك الشهري، ويدبرك في المرتبة أو الرتبة المناسبة، ويدبرك في أولادك، ويدبرك

في المشاكل التي تعترضك.

يأمر الريح، ويأمر القلوب فيؤلف بينها أو يباعدها، يأمر الأعصاب فتتألم فتسقم، ثم يتسكن فتعافي.

فعليك أن تثق في تدبير الله لك، وتسأل الله الخيرة الطيبة؛ فهو الذي يختار لك الأفضل. عندما نتأمل في حياتنا، نجد أن كل ما يحدث لنا، سواء كان خيرًا أو شرًا، هو من تدبير الله. قد نواجه تحديات أو مواقف صعبة، ولكن إذا نظرنا بعين الإيمان، سنجد أن وراء كل ذلك حكمة ورحمة.

٢١

ثمرات الإيمان بأن الله هو المدبر

- الإيمان بأن الله هو الفاعل الحقيقي لكل شيء يُرسِّخ عقيدة التوحيد في القلب، ويُبعد عن الشرك الخفي (كالاعتماد على الأسباب دون مسببها).
- مثال: عندما تطلب الرزق، تعلم أن الله هو الرزاق، فتبتعد عن الوسائل المحرمة؛ لأنك تعلم أن الرزق بيد الله وحده.

۞ زيادة العبادة والطاعة:

- الإيمان بصفات الله الفعلية يُشعرك بقربه منك، مما يدفعك إلى المزيد من العبادة والشكر.

مثال: عندما ترى قدرة الله في خلق الكون، تقول: «**سبحان الله**»، وتزداد خشوعًا في صلاتك؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر: ٢٨).

زيادة المحبة لله:

- الإيمان بصفات الله الفعلية يُذكِّرك بنعمه عليك؛ مما يزيد محبتك له، وشوقك إلى طاعته.

عندما ترى جمال الطبيعة، تشعر بمحبة الله لأنه خلق لك هذا الجمال؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤).

الطمأنينة والسكينة:

- الإيمان بتدبير الله يُزيل القلق والخوف من المستقبل، لأنك تعلم أن كل شيء يجري وفق حكمة إلهية.

إذا فقدت وظيفتك، تقول: «**الله يدبر الأمر**»، وتثق بأن الله سيُعوضك بخير مما فاتك؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

تعزيز الأمل والتفاؤل:

- الإيمان بأن الله هو الفاعل يُعزز الأمل لديك، لأنك تعلم أن الله قادر على تغيير أي حال.

إذا كنت في ضيق مالي، تقول: «**الله سيُفرجها**»، وتتذكر قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح: ٥-٦].

الرضا بالقضاء والقدر:

- الإيمان بأن الله هو الفاعل لكل شيء يُساعدك على تقبُّل الأقدار، سواء كانت سارة أو مُرة؛ لأنك تعلم أن الله يفعل ما هو خير لك.
- إذا مرضت، تقول: «هذا اختبار من الله»، وتصبر وتحتسب الأجر، وتعلم أن الله قد يُخفف عنك ذنوبك بالمرض.

- قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم).

۞ التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

- الإيمان بصفات الله الفعلية يُعلِّمك التوكل الحقيقي؛ حيث تأخذ بالأسباب ولكن قلبك معلق بالله.

عندما تذاكر للامتحان، تأخذ بالأسباب **(الدراسة الجادة)**، ولكنك تعلم أن النجاح بيد الله، فتقول: «اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى «.

قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٣].

۞ الشكر على النعم:

- الإيمان بأن الله هو المنعم الحقيقي يُشعرك بالامتنان له، ويُبعد عنك الكِبر والغرور.
- إذا نجحت في عمل ما، تقول: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، ولا تنسب النجاح لنفسك فقط.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل: ٥٣].

۞ التحرر من الخوف من المخلوقات:

- الإيمان بأن الله هو الفاعل الحقيقي يُحررك من الخوف من البشر أو الظروف، لأنك تعلم أنهم لا يملكون ضرًا ولا نفعًا إلا بإذن الله.

إذا هُدِّدت بالظلم، تقول: **«الله معي»**، وتثق أن الله سيُدبر أمرك؛ قال

تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (التوبة: ١٢٩).

التحرر من الحزن المفرط:

- الإيمان بأن الله هو المدبر يُخفف من حزنك على ما فات، لأنك تعلم أن الله سيُعوضك بخير.

مثال:

إذا فقدت شخصًا عزيزًا، تقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾، وتعلم أن الله سيُدبر أمرك ويُعوضك.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٢٢

تأملات في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

ذَكِّرْ بها قلبك كلما خشيت أمرًا أو اعتراك هم أو أصابك كرب، فإن أيقنت بها اطمأنت روحك، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

إن الله يعلم كل شيء في صدرك، يعلم كل شيء تتعثر في التعبير عنه، لا تقلق، فقط قل: يا رب، يدبر أمرك، ويصلح حالك.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

سيدبر الله أمرك، ويعتني بشؤونك، ويكشف عنك غمك، سيسخر لك من تحب، ويفتح لك أبوابًا مغلقةً، سيعوضك ما كان فقده يؤلم قلبك .. ثق بالله.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

الأمر الذي يؤرقك، والغد الذي تتوجس مجيئه، يدبره الله؛ فكن مطمئنًا، ولا تقلق.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

عندما يغلق الله من دونك بابًا تطلبه فلا تجزع، ولا تعترض، فلربما الخيرة في غلقه، لكن ثق أن بابًا آخر سيفتح لك، ينسيك هم الأول، وقتها ستدرك معنى قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

هذه الآية كفيلة بأن تضفي على نبضك هدوءًا وخشوعًا مهما ضاقت بك الدنيا.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

أتظن أن الله لا يعلم تلك الأمنية التي تسكن زاوية قلبك؟ حاشاه !! رب العزة يعلمها، ولكن يدبر لك الأمر؛ حتي تأتيك في الوقت المناسب.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

لا تجزع إن لم يتحقق لك أمرٌ أنت راغب فيه، مع الوقت ستدرك أنه لم يكن خيرًا لك.. اللهم دبر لنا أمورنا؛ فإنا لا نحسن التدبير.

بعد كل هذا، فهل تظن أنه لا يعلم همَّك؟ أو يجهل دمعَك؟ أو ينسى دعاءك؟ أو يغفل عن حاجتك؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]

إنه السميع العليم، يسمع دبيب النملة، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وفي معترك الحياة... قد يضيق صدرك، تتكالب عليك الهموم، وتسمع الهمزات، وتَلمح اللمزات... يمكرون من خلفك، ويتآمرون ضدك، وربما يُساء الظن بك، وتُتهم فيما لم تفعل.

لكن لا تظن أنك وحيد، ولا ضعيف...فَحَقُّ المؤمن محفوظ عند من لا تخفى عليه خافية. فاطمئن... فربك الذي دبَّر أمر الكون كلِّه، لن يعجز عن تدبير أمرك أنت.

فتفقَّد علاقتك بربك...

- كن لله، يكن الله لك.
- سلِّم الأمر له، يدبِّر عنك.
- اجعل ثقتك فيه لا تهتز، وسينصرك بما لا تحتسب.

وهنيئًا... لمن كان وليه الله، يدافع عنه، ينصره، ويكفيه، ويدبِّر أمره بحكمة ورحمة لا يُدركها عقل بشر .. نسأل الله أن يُدبِّر لنا أمورنا، ويُسير لنا الخير حيثما كان، وأن يرزقنا الرضا بقضائه وقدره. آمين.

المراجـــــع:

- (سورة يونس)- مسفر بن سعيد بن محمد الزهراني.
- (يدبر الأمر) - الشيخ هلال الهاجري.
- (المدبر) - إسماعيل القاسم.
- (اسم الله المدبر) - عبدالله عوض الأسمري.